

الروابط الاجتماعية الرقمية بين الفرص الكامنة وإطار الراهنة

- قراءة في نظرية قوة العلاقات الضعيفة -

أ. طيشي يسري

ط.د/آمال علي الهادفي

جامعة شلف

جامعة الجزائر 3

ملخص

سعت ثورة الوسائط الجديدة للجيل الثاني من الأنترنت من إمكانيات إقامة روابط اجتماعية خارج إطار الدوائر التقليدية، وسمحت للأفراد ببناء شبكات علاقات تناظرية لتلك الموجودة في الواقع ضمن ما يعرف بالمجتمعات على الخط، هذه العلاقات نقلتهم من الرباط الاجتماعي في إطار المحيط الضيق للأسرة والأصدقاء المقربين إلى رباط اجتماعي افتراضي ممتد وواسع قد لا تتوفر فيه الحميمية ذاتها، ويطرح تبعا لذلك تساؤلات حول مشروعية اعتباره رباطا اجتماعيا أساسا، باعتبار أن البعض يسلم بأن امتداد الشبكات ما هو إلا تعبير عن نهاية الرباط الاجتماعي رغم ما يقدمه هذا الشكل الجديد من فرص جديدة وهائلة للتبادل والتعاون ومشاركة التجارب؛ وهنا تجد هذه الورقة دوافع بحثها عن إشكالية مفهوم الرباط الاجتماعي والتأسيس له ضمن المجتمعات الرقمية وما يتيح من فرص غير متاحة في الرباط التقليدي وفق ما تقترحه النظريات الحديثة لسوسيولوجيا الوسائط الجديدة والشبكات الاجتماعية.

• الكلمات المفتاحية: الرباط الاجتماعي، شبكات التواصل الاجتماعي، قوة العلاقات الضعيفة.

Résumé:

Internet 0.2, grace au potentiel communicationnel qu'elle offre, a permis l'institution de nouveaux liens sociaux en dehors des cercles traditionnels, et de nouvelles relations dans l'espace virtuel symétriques à celle dans le monde réel.

Ces nouvelles relations sont caractérisées par un élargissement remarquable et un continuum des liens virtuels sans vraiment que ces derniers n'aillent forcément la même intimité des liens réels. A ce niveau se pose aujourd'hui le questionnement sur la légitimité de parler d'abord d'un lien social virtuel, du fait que certains pensent que l'avènement des réseaux sociaux présente en lui-même la fin du lien social, malgré toutes les possibilités que donnent ceux-ci à la faveur de l'échange et la coopération entre individus. Ce papier se consacre donc à la problématique de l'instauration de la notion du lien social dans une société numérique, et les nouvelles opportunités qu'elle offre selon ce que disent les nouvelles approches théoriques traitant la sociologie des multimédias.

• Mots clés: lien social, réseaux sociaux, la force des liens faibles.

مقدمة:

يحيل مفهوم الرباط الاجتماعي إلى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد سواء كانت أسرية، علاقات صداقة، مهنية، أو دينية... وهذا المفهوم يقع في صلب الموضوعات المتناولة منذ النشأة الأولى للعلوم الاجتماعية، واعتبره دوركايم بمثابة الإسمنت الحافظ لصلابة المجتمع باعتباره يضمن الاعتماد المتبادل بين الأفراد المدفوعين بحاجتهم إلى التعاون والتضامن نتيجة فكرة تقسيم العمل والأدوار.

وبعاني الرباط الاجتماعي اليوم عديد الإشكاليات الاجتماعية البحتة، وأخرى سوسيوثقافية تبدو أكثر جدية، على غرار الثورة الاتصالية للأنترنت التي أحدثت شكلا من أشكال "الذعر الأخلاقي"¹ فيما يتعلق بهذا المفهوم وبالآثار المحتملة التي ستلحقها مستحدثات الشبكة بطبيعة العلاقات الاجتماعية والروابط بين الأفراد

والجماعات؛ خاصة وأن الوسائط الجديدة للجيل الثاني من الأنترنت مكنت من إقامة روابط اجتماعية خارج إطار الدوائر التقليدية، وسمحت للأفراد ببناء شبكات علاقات تناظرية لتلك الموجودة في الواقع خرجت بهم من إطار المحيط الضيق للأسرة والأصدقاء المقربين إلى إطار افتراضي ممتد وواسع. وقد سارت العديد من البحوث الإعلامية - تبعاً لذلك - عن غير قصد في نهج إثبات تسببها في العزلة أو في نشطي الروابط التقليدية على متانتها في مقابل بنائها لروابط افتراضية هشة وأقل أهمية، ما يجعلها مجردة من كل إنتاجية محتملة.

1- الإشكالية:

إن أهمية الرباط الاجتماعي تكمن في كونه، كلما كان قويا، كلما حقق لطرفيه الدعم العاطفي والاجتماعي والمادي؛ ويقترح Mark Granovetter قاعدة لقياس قوة الرباط الاجتماعي تتحدد وفقا لحجم الوقت وكثافة المشاعر والحميمية والثقة والخدمات المتبادلة التي تميز رباطا معيناً أو علاقة بين فردين.² ويتقاطع في هذا الطرح بدرجة ما مع Robert D. Putnam، الذي يقيس هو الآخر متانة الرباط الاجتماعي بحجم التعاون والتبادل والثقة التي تميز أطرافه.³ وهذه القواعد المقترحة من قبل الباحثين تحيلنا إلى وجود تصنيف ثنائي للروابط الاجتماعية يشمل درجتين: الروابط القوية والروابط الضعيفة.

تحتاج الروابط الاجتماعية الكفيلة بتحقيق التوافق الاجتماعي إلى مقدار معتبر من الجهد والوقت الكافيين لتأسيسها وضمان استمرارها، والوقت والجهد موردان غير قابلان للتجديد، وعليه فإن ذلك يحدد عدد الروابط الاجتماعية التي يمكن للفرد إقامتها في فترة معينة من حياته؛ ويؤكد عالم الأنثروبولوجيا البريطاني روبن دنبار⁴ هذا الطرح بقوله أنه متى اتسعت الدوائر الاجتماعية للأفراد لأكثر من 150 شخصا فإن الشعائر الضرورية للتوافق الاجتماعي - ومن ثم الرباط الاجتماعي - تتحل؛ وهذا يقودنا إلى الاستنتاج بأن الروابط القوية لا يمكن أن تنشأ إلا في دوائر اجتماعية ضيقة حتى تضمن قوتها واستمرارها، ومن ثم فإن ما تعدى ذلك فهو يصنف في خانة الروابط الضعيفة.

يحيلنا الحديث عن الروابط الضعيفة إلى الدوائر الممتدة وبصفة خاصة تلك التي بات بالإمكان تشييدها عبر ما تتيحه شبكات التواصل الاجتماعي من علاقات لامتناهية، وهنا نتجاوز التسليم بضعف الروابط المقامة في هذه الشبكات إلى اختبار المفهوم وفقا لطرح روبن دنبار الذي سلم بانحلال الرباط الاجتماعي إذا ما زادت دائرته عن 150 شخصا، وبالتالي فإننا أمام جدلية التأسيس لمشروعية مفهوم الرباط الاجتماعي في عالم الشبكات الاجتماعية في مستوى أول، أما في المستوى الثاني فإن التساؤل المطروح ينطلق من طرحي Granovetter و Putnam أعلاه في قياسهما لقوة الرباط الاجتماعي، فهل يعني انحصار مستلزمات القوة - كما أدرجاها - في الرباط الضعيف تجريده من كل أهمية أو وظيفة إنتاجية؟

انطلاقاً من التسلسل السابق يمكن طرح التساؤل الرئيسي لهذه الورقة البحثية على النحو التالي: ما هي تجليات الفرص الكامنة في الروابط الاجتماعية الضعيفة على شبكات التواصل الاجتماعي انطلاقاً من نظرية قوة العلاقات الضعيفة؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب تفكيكه إلى المستويات البحثية التالية:

- 1- كيف يمكن التأسيس لمفهوم الرباط الاجتماعي في المجال الافتراضي لمواقع لشبكات الاجتماعية؟
 - 2- ماهي الوظائف الإنتاجية والفرص الكامنة للروابط الاجتماعية الضعيفة في مواقع الشبكات الاجتماعية؟
 - 3- ماهي التجليات الجديدة للرباط الاجتماعي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية؟
- 2- مشروعية التأصيل لمفهوم الرباط الاجتماعي في المجال الافتراضي للشبكات الاجتماعية:
- الشبكات الاجتماعية ومواقع الشبكات الاجتماعية:

إن مفهوم الشبكات الاجتماعية متعدد الدلالات، لذا فقبل تناوله من زاوية اتصالية - رغم الإقرار بأن العملية الاتصالية هي بالأساس فعل اجتماعي - لا بدّ من الإشارة إلى جذوره الاجتماعية التي تعود إلى العام 1954 في كتابات الأنثروبولوجي البريطاني Johan A. Barnes الذي عبر عنه بمستوى أول من التحليل بـ"مجموعة علاقات بين الأشخاص أو المجموعات الاجتماعية". وقد انتشر استعمال المفهوم بعدها، قبل أن يأخذ إحياء سلبيا عبر التصاقه بالتنظيمات السرية؛ ثم يتحول في السنوات الأخيرة إلى نطاق استعمال مختلف كلية ذي صبغة سوسيوتقنية مع ظهور الوسائط الجديدة للإنترنت،⁵ فصار الحديث عن مواقع الشبكات الاجتماعية وليس عن الشبكات الاجتماعية، ومن ثم فاستعمال المفهوم بات يحيل إلى الوسيلة كوسيط وليس إلى الموضوع أو المضمون كما في السابق.

ويقدم Nicole Ellison و Danah Boyd مواقع الشبكات الاجتماعية في جانب من التعريف الاتصالي الكلي المقدم لها على أنها منصات للتواصل على الخط، يمكن للأفراد فيها العرض العمومي للعلاقات الممكن رؤيتها أو فحصها من قبل الآخرين.⁶

وتتظر السوسيولوجيا إلى مواقع الشبكات الاجتماعية بتجلياتها الحالية على أنها مجالات جديدة للعلاقات الموجودة مسبقا، تعطي أشكالا جديدة لخلق الروابط مع المقربين،⁷ و" تعبر قبل كل شيء عن "مسارات افتراضية تسمح بتجريد الروابط الاجتماعية من ماديتها".⁸ ولكن هل يمكن الإبقاء على الرباط الاجتماعي عند تجريده من ماديته ووضعه ضمن أطر افتراضية؟

- الرباط الاجتماعي والمجال الافتراضي:

يعرفه Guy Rocher في كتابه "le Changement Social" بأنه مجموع العلاقات التي توحد الأفراد المنتمين إلى نفس الجماعة الاجتماعية و/ أو التي تحدد القواعد الاجتماعية بين الأفراد أو بين الجماعات الاجتماعية المختلفة.⁹

وفي كتابه "أصول علم الاجتماع"، يذهب عالم الاجتماع الروسي أوسيبوف إلى القول بأنه "مجموع العوامل التي تشترط نشاط الناس المشترك في ظروف ملموسة للمكان والزمان لأجل بلوغ أهداف ملموسة".¹⁰ ومن ثم فإن الخاصية الفيزيائية للمجالين الزماني والمكاني الذي تتشكل فيه الروابط أساسية لقيامها وفق هذا المنطق، وبالتالي فإن الشرط الثاني لقيام الرباط الاجتماعي يسقط هو الآخر.

تناول Serge Proulx¹¹ هذه الإشكالية بالتحليل انطلاقا من تفكيكه لطريقة تشكل العلاقات في المجتمعات التقليدية، ووجد أن هذه الأخيرة تتأسس انطلاقا من مبدأ القرب الجغرافي الذي يضمن التجذر الإقليمي والجمعي كالمدراس والطرق والاماكن العمومية والجوارية... أما في المجتمعات الافتراضية فإن القرب

الجغرافي بما فيه التمتع الجسدي للفرد (الضروري في التواصل الوجيه) والإطار الزمني للتفاعل والتبادل تسقط جميعها كأبعاد مؤسسة للشعور الجمعي والرباط الاجتماعي، وتحل محلها المصالح المشتركة والقيم والانتماء الثقافي أو العرقي أو الأسري أو الجنسي أو الديني أو الوطني.

ومادام Proulx يسقط الأبعاد الزمانية والمكانية والتمتع الجسدي للفرد كأبعاد مؤسسة للرباط الاجتماعي في المجال الافتراضي فإن طرح دنبار هو الآخر الموضح أعلاه يمكن أن يسقط في ذات السياق، فالروابط في شبكات التواصل الاجتماعي لا تتطلب من الفرد التزاما كبيرا في الوقت والجهد مثلما تتطلبه نظيرتها في الواقع، وعليه قد يتجاوز عدد الأربطة الحد الأقصى دون أن تفقد هذه الأخيرة ماهيتها.

• قوة العلاقات الضعيفة:

إن فكرة الانتماء الافتراضي لذات المصالح والقيم والمرجعيات على اختلافها لا تؤكد قوة هذا الرباط بين أعضاء المجموعة بالضرورة، بل تميل أغلب الافتراضات - على العكس من ذلك - إلى القول بضعف الروابط والعلاقات الاجتماعية في المجال الافتراضي رغم استمرارية وكثافة التواصل بين أطرافها بحكم أن هذه الكثافة تتجلى كليا أكثر منها كليا بسبب كثرة المشاركين في التفاعل. وقد أشرف Serge Proulx و Annabelle Klein على 20 عملا بحثيا لاختبار هذه الفرضية.¹²

من جهة أخرى كان الباحث الأمريكي في علم الاجتماع Mark Granovetter قد تحدث منذ مطلع السبعينات فكرة العلاقات الضعيفة (الزملاء وأصدقاء الأصدقاء) التي تنشأ بصفة مجاورة للعلاقات القوية (أفراد الأسرة الواحدة و الأصدقاء المقربون)، وقاد تفكيره إلى أبعد من ذلك عندما ذهب إلى البحث عن مراكز القوة الكامنة في الضعف المتجلي في هذه العلاقات أو الروابط، فقدم بناء على ذلك طرحه كمقاربة نظرية سوسيولوجية متفردة أسماها "قوة العلاقات الضعيفة" "the Strength of Weak Ties".

يقدم Granovetter في ورقة نشرها عام 1973 رؤيته لفكرة العلاقات الضعيفة من خلال مثال للشخص الذي أطلق عليه اسم "Ego"، يملك "Ego" مجموعة متلاحمة من الأصدقاء المقربين على تواصل مع بعضهم البعض؛ إضافة إلى ذلك، لديه أيضا مجموعة أخرى من المعارف العابرة ممن لا يعرفون بعضهم إلا قليلا، وكل فرد من معارفه يمكن أن يكون لديه مجموعة أصدقاء مقربين هو الآخر تختلف عن مجموعة الأصدقاء المقربين لـ "Ego". إن الرباط الاجتماعي بين هذا الفرد و "Ego" ليس مجرد معرفة عابرة غير ذات أهمية، إنما هي جسر مهم بين المجموعتين المتلاحمتين لكل منهما.¹³

خلص Granovetter إلى هذه المقاربة بعد دراسة كان يبحث من خلالها عن الأشخاص الذين ينقلون إلى الفرد المعلومات المتعلقة بتوفر مناصب العمل أو الذين يكونون سببا في الحصول على العمل، فلاحظ من خلال المقابلات التي أجراها أن أغلب مبحوثيه أجابوا بأن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا من الأصدقاء المقربين بل من مجموعة المعارف العابرة.¹⁴

يعترف Granovetter إذن بأن الأصدقاء المقربين يؤدون وظائف حيوية بالنسبة للفرد، لكنه في المقابل يرى بأهم يشكلون في نفس الوقت شبكة لا تتطور، بحكم أن كل فرد من أفرادها يعرف الآخر؛ في المقابل نجد أن معارف الفرد الذين يشكلون مجموعة علاقاته الضعيفة لا يعرفون بعضهم البعض، ولكنهم يقدمون له فرصا

للتواصل مع دوائر اجتماعية جديدة غير تلك التي ينتمي إليها، وبالتالي فإنهم بمثابة "النافذة على العالم"؛ وكل ما كثرت العلاقات الضعيفة للفرد، كلما زادت حظوظه في الاطلاع على الأفكار المختلفة والتيارات الجديدة وفرص العمل المتاحة.

رغم أن أفكار Granovetter صاغها في السبعينات في فترة لم تكن الأنترنت ووسائطها المتعددة قد انتشرت بعد، إلا أنها وجدت في هذه الأخيرة مرسى جديدا لتأكيد طروحاتها، بعدما أصبحت الروابط الضعيفة لمعظم الأفراد في المجتمعات الرقمية هي السائدة.

واقترح Robert D. Putnam في دراسة نشرت عام 2000 بعنوان: *Blowing Alone: The Collaps and Revival of American Community*، بحث فيها إشكالية نهاية الرباط الاجتماعي في المجتمع الأمريكي وإمكانية استعادته عن طريق الأنترنت، مفهومين يقتربان كثيرا من مفهومي العلاقات الضعيفة والقوية لـ Granovetter، وهما "الروابط المغلقة" (Bounding) وقصد بها الروابط القوية و"الروابط المفتوحة" (bridging) وقصد بها الروابط الضعيفة، واعتبر أن الروابط المغلقة أو القوية تعد بمثابة الإسمنت الاجتماعي، في حين أن الروابط المفتوحة بمثابة اليرنيق الاجتماعي الملمع،¹⁵ فأعمال Putnam لم تكن إلا استمرارية لأعمال Granovetter إذن.

3- الوظائف الإنتاجية والفرص الكامنة للروابط الاجتماعية الضعيفة في شبكات التواصل الاجتماعي:

يمكن توضيح مكامن القوة والوظائف الإنتاجية للعلاقات الضعيفة انطلاقا من مقابلتها بالعلاقات القوية وفق ما تقدمه نظرية قوة الروابط الضعيفة:

يقدم Granovetter الروابط القوية في شكل زاوية تشمل الشريك، أفراد الأسرة، والأصدقاء المقربين، ميزة هذه الروابط أنها تتطلب التزاما كبيرا من حيث الوقت والجهد لضمان استمرارها، ولأجل هذا السبب تبقى محدودة العدد. علاوة على هذا تميل الروابط القوية إلى خلق شبكات مغلقة بحيث أن كل الأفراد في الشبكة يعرفون بعضهم من قريب أو من بعيد، وشبكات متجانسة بحيث أن الأفراد داخلها يميلون إلى معرفة أشخاص من نفس المستوى الاجتماعي والهوية الإثنية، الطباع والأذواق... في مجملها تحقق هذه الروابط وظائف أساسية للفرد هي الدعم الاجتماعي والعاطفي والمادي.¹⁶

في المقابل تشمل الروابط الضعيفة زملاء العمل، أفراد الأسرة الموسعة، الجيران، أصدقاء الأصدقاء والمعارف اليومية، وهذه الروابط تختلف عن تلك القوية كما وكيفا، إذ تتعدد وتتطلب استثمارا أقل في الجهد والوقت، وهي أقل حميمة، أكثر تنوعا وغير متجانسة، ولكنها قد لا تحقق ذات الدعم الاجتماعي والعاطفي الذي تحققه الروابط القوية، لذلك يتم الحكم عليها غالبا بأنها ثانوية وغير ذات أهمية،¹⁷ رغم أنها باتت الروابط الأبرز السائدة اليوم في المجتمعات الرقمية، فهل يقودنا هذا إلى الحكم بالسلبية التامة لأغلب العلاقات والروابط الاجتماعية التي نقيمها في مواقع الشبكات الاجتماعية في العالم الافتراضي؟

بحث Gronovetter بعد تمييزه بين الروابط القوية والضعيفة عن الإيجابيات الكامنة في العلاقات الضعيفة والتي تمثل نقطة قوتها، وتوصل إلى أن هذه الأخيرة تسمح بالوصول إلى قدر هائل من المعلومات والفرص والموارد المتاحة؛ فضلا عن أنها تلعب دور الجسر الرابط بين الدوائر العلائقية القوية. باستعارة شخصية

Ego السابق الإشارة إليها، يمكن توضيح مكان القوة السابقة مع إسقاطها على المجال الافتراضي لمواقع الشبكات الاجتماعية من خلال الأمثلة التالية:

❖ لا يستطيع "Ego" المقيم بالمدينة (أ) أن يعرف بتوفر منصب عمل ككبير طهاة في مطعم أحد الفنادق في المدينة (ب) بحكم أنه وأسرته وكذلك أصدقائه يقطنون بنفس المدينة، لكن شخصا يقطن بالمدينة (ب) يتواجد في قائمة أصدقائه على موقع من مواقع الشبكات الاجتماعية، نشر المعلومة حول الفرصة المتوفرة بمدينته وهكذا وصلت إلى "Ego" واستثمرها.

❖ رغب "Ego" في تحديث معارفه المتعلقة بلغة سكان المدينة (ب) قبل الانتقال إليها، ولم يكن أحد من دائرة روابطه القوية يجيدها، لكنه وجد على موقع الشبكة الاجتماعية الذي يستخدمه مجموعة خاصة بتعلمها فانضم إليهم.

❖ يعمل "Ego" ككبير طهاة في أحد المطاعم المكسيكية، وكان يقضي وقتا معتبرا على مواقع الشبكات الاجتماعية في تعلم أسرار الطبخ المغربي فصادف أن وجد طاهيا مغربيا يرغب في تعلم الطبخ اللاتيني، وهكذا عكف كل منها على تعليم الآخر، لينقل كلاهما فيما بعد ما تعلماه من مهارات إلى فريق عملهما.

توضح هذه الأمثلة مجموعة الوظائف الإنتاجية التي يمكن أن تؤديها الروابط الضعيفة في سياق مواقع الشبكات الاجتماعية، والتي تعبر في جوهرها عن مجرد امتداد افتراضي لوظائف الروابط الضعيفة في الواقع، يبقى أن نضيف في النهاية أن الروابط القوية في عصر الشبكات الرقمية بالإمكان أن تمتد إلى العالم الافتراضي دون أن تفقد ماهيتها كروابط حقيقة قائمة أساسا على الأبعاد الفيزيائية المؤسسة للرباط، ودون أن تتحول تماما إلى افتراضية على الخط؛ وبالتالي تبقى تؤدي ذات وظائف الروابط القوية، في حين أن الروابط الافتراضية الضعيفة على الخط بالإمكان أن تتحول إلى روابط حقيقية قوية وجادة خارج الخط وتكتسب الصفتين معا، ومن ثم فإنها تؤدي وظائف الروابط القوية والضعيفة على حد سواء.

4- التجليات الجديدة للرباط الاجتماعي عبر مواقع الشبكات الاجتماعية:

إن عملية الانتقال لمناقشة نظرية الروابط أو العلاقات الضعيفة من مستوى الطرح الكلاسيكي لها إلى مستوى شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية، يستدعي بداية تحديد بعض المتغيرات المؤثرة في عملية تشكيل هذه الروابط، ونعني هنا ضرورة مناقشة بعض خصائص هذه الشبكات الرقمية قبل مناقشة المستخدمين لها، حيث أن سياساتها التي أنشئت من أجلها تنعكس بدرجة كبيرة على مستويات التأثير اللاحقة، وبيان ذلك أنه يجب التفرقة بين الشبكات الرقمية التي تعتمد في فلسفتها على توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية، وعلى الصنف الآخر الذي يركز على توسيع دائرة العلاقات المهنية.

سنعرض بالتحليل هنا لأشهر مواقع وشبكات والتواصل الاجتماعي المستخدمة مثل تويتر Twitter ماي سبيس MySpace وفيس بوك Facebook وهاي فايف hi5 وأوركوت Orkut وفريبنديستر Friendster إضافة لموقع لينكد إن LinkedIn، ظاهريا قد تبدو أغلب هذه المواقع تؤدي نفس الوظيفة ولكن بناء على سياساتها وتوجهها فهي تنقسم إجمالا إلى صنفين وفق الهدف العام لها، فمنها من يستهدف البعد الاجتماعي

في العلاقات مثل موقع فيسبوك وتويتر وهايف فايف وماي سبايس، ومنها ما يستهدف البعد المهني مثل موقع لينكد إن ونوضح ذلك فيما يلي: ¹⁸

1- المواقع والشبكات الاجتماعية: إن مناقشتنا للهدف الاجتماعي ضمن هذه الفئة لا يعني بالضرورة أنه ليس لها استخدامات مهنية وسياسية وغيرها، ولكن هنا من باب الأصل الفلسفي لقيام الشبكة، فموقع فيسبوك مثلا يستهدف إعادة لم شمل العلاقات الاجتماعية السابقة التي تفككت لأسباب معينة، إضافة على بناء علاقات اجتماعية جديدة وتوسيع شبكة العلاقات بصفة عامة، من هنا فمستخدمي موقع فيسبوك تحركهم دوافع الانتماء الاجتماعي والفكري والسياسي والثقافي لجماعات معينة ضمن الفضاء الافتراضي ويتميزون باتساع الفئة العمرية من الأطفال إلى المراهقين إلى الشباب وحتى الشيوخ، في حين موقع ماي سبايس مثلا نجد أن الفئة الغالبة من مستخدميه هم من فئة المراهقين الذين يسعون في تفاعلهم الاجتماعي نحو بناء روابط اجتماعية تقوم على القيم والمعتقدات والأحاسيس المشتركة وفق دوافع غريزية غير عقلانية .

2- المواقع والشبكات المهنية: من أبرز الأمثلة هنا هو موقع لينكد إن الذي يعتمد في بنائه وفلسفته على إنشاء الحسابات ضمنه منذ البداية وفق منطق مهني، بحيث يصنف المستخدم نفسه ضمن فئة مهنية معينة يتقاسم معها نفس الميول والاختيارات المهنية، وفق معايير عقلية بحتة تستند للمجال المهني الحقيقي للفرد المستخدم، وبالتالي ينحصر الدافع لدى هذه الفئة في السعي وراء المكاسب الوظيفية وتوسيع دائرة العلاقات المهنية كشرط أساسي سواء للدخول أو لبناء علاقات جديدة، ما يعزز الاتجاه نحو تشكيل تكتلات ومجموعات مصنفة وفق التشابه والتقارب المهني والوظيفي.

ربما لا تمنع قوانين وسياسات أي من الصنفين بالأعلى أي فرد من الانضمام إلى أحد الشبكتين سواء الاجتماعية والمهنية، ولكن سيفقد الفرد الساعي وراء العلاقات الاجتماعية إثارته سريعا ضمن موقع يدعم التقارب المهني، في حين سيجد الفرد الساعي وراء البعد المهني نفسه أمام خيارات غير محدودة ضمن المواقع الاجتماعية ما يصعب من عملية إدراك غاياته في الوقت الذي يريده، ورغم هذا التقسيم الإيضاحي إلا أن المستخدم أثبت بأن له قدرة عالية على التكيف مع هذه السياسات وتطويعها لتخدم دوافعه في كلا الصنفين من الشبكات.

بغض النظر عن اختلاف دوافع المستخدمين فهذه الشبكات الرقمية تشترك في أنه بإمكان الأفراد بناء علاقات جديدة خارج إطار علاقاتهم القوية من الأسرة والأقارب والأصدقاء الذين يتعاملون معهم في العالم الفيزيائي، ووفقا لنظرية قوة الروابط الضعيفة فإن مثل هذه العلاقات والصدقات الافتراضية الجديدة هي أكثر فائدة ومكسبا للفرد من جماعته القوية خاصة في مجال البحث والحصول على عمل أو فرصة على الأقل من منظور مارك جرانوفيتز،¹⁹ ولتتبع هذه سناقش مظاهر الحصول على علاقة جديدة - ضعيفة - من خلال شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية وسنركز في أمثلتنا على موقع فيسبوك تسهيلا للفهم من جهة، ولأنه هناك شبكات رقمية أخرى لا تتسحب عليها هذه القواعد من جهة أخرى .

1-4 أهم أشكال حصول المستخدم على علاقة ضعيفة ضمن شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك

• طلب المستخدم لصداقة مستخدم آخر لا يعرفه مطلقا، وذلك بدافع التعرف الاجتماعي وفقا لدوافع مختلفة ضمن هذه الدائرة، كالتعرف على شخص يتشارك معه بعض الاهتمامات - من خلال معلومات الصفحة الشخصية للشخص الجديد-، أو التعرف بنية تكوين علاقة عاطفية بين الجنسين، أو بدافع يتعلق بجماعات الدراسة والرياضة والسياسة وغيرها من الأسباب والمبررات التي يتخذها المستخدم كدافع لإرسال طلب صداقة لشخص لا يعرفه.

• خوارزمية الصداقات المقترحة التي يدعنها موقع فيسبوك من خلال اقتراح صداقات جديدة للمستخدم، أغلبها تركز على أعضاء مستخدمين ضمن الشبكات الفرعية لقائمة الأصدقاء الحاليين للمستخدم، ويمكن أن تكون الاستجابة للاقتراح بمجرد دافع الفضول .

• القيام بمتابعة الصفحات الشخصية لبعض المستخدمين الذين يلفتون الانتباه للمستخدم الأصلي، كأن يعلق مستخدم ما على منشور معين بتعليق يلفت انتباه شخص آخر، أو يقوم مستخدم ما غير موجود ضمن قائمة الأصدقاء الحالية لنا بالتعليق على منشور يخصنا ما يشكل دافعا على التعرف إليه.

• طلبات الصداقة المرسله لنا من أشخاص مجهولين لا نعرفهم ونقبلها بدافع الفضول.

• الأشخاص الذين نراسلهم بدافع السؤال عن شيء ما يتعلق مثلا بمنتج أو خدمة معروضة للبيع ضمن الموقع، حيث يزيد احتمال تكوين علاقة معهم حتى بعد حصولنا عن الإجابة التي كانت الدافع الأصلي للتواصل معهم.

• الأشخاص الذين نلتقيهم مصادفة ضمن العالم الحقيقي في مناسبة ما كحفلة أو اجتماع ما أو فعالية معينة أو أثناء السفر وغيرها من المواقف التي نتعرف فيها على شخص مصادفة ويكون اللقاء قصيرا بحيث فقط يتم تبادل حسابات الفيسبوك، وبعد ذلك يكون التعارف وتشكيل الرابط افتراضيا.

• الأشخاص الذين يلفتون انتباهنا من خلال مادة ما قرأناها على الانترنت أو فيديو شاهدناه لهم أو تقرير إخباري في التلفزيون، أي كانت الوسيلة أو البرنامج الذي تعرضنا فيه لما قدمه هذا الشخص، فنقوم بالتراسل معه انطلاقا من إعجابنا بالمادة التي قدمها.

إن الأشكال المصاغة سابقا ليست على سبيل الحصر ولكنها أمثلة فقط على الداخل التي يحتمل أن يتشكل فيه رابط ضعيف بين شخصين، غير أن هذه الفرص الكثيرة لا تعني بالضرورة أن لهذه العلاقة الضعيفة عائدات إيجابية على الفرد، بل هناك مجموعة من الشروط التي يجب توافرها حتى تصبح العلاقة الضعيفة ذات قوة وفائدة بالنسبة لنا أكثر من العلاقات شبكة علاقاتنا القوية، بمعنى تطبيق نظرية قوة العلاقات الضعيفة على شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية لا يمكن أن يكون مطلقا، بل يجب قراءته في ظل مجموعة عوامل وشروط تزيد من فرص فعالية هذه العلاقات:

4-2 شروط فعالية العلاقات الضعيفة في مواقع الشبكات الاجتماعية:

❖ رغم أن نظرية قوة العلاقات الضعيفة تعتبر أن العلاقة الضعيفة هي في الأساس ربط بين شبكتين قويتين،²⁰ إلا أن هذا يبقى على المستوى النظري حيث أنه يجب أن يكون لدى أحد طرفي العلاقة الضعيفة

فرصا يمكن أن يقدمها للطرف الأخر، بحيث في حالة نشوء رابط بين طرفين تتعدم الفرص لدى كليهما فتصعب عملية تحول هذا الرابط إلى منفعة حقيقية.

❖ الاعتماد على مصادر مختلفة من العلاقات الضعيفة ومن نطاقات مختلفة يزيد من فرص فعالية هذه العلاقات، وكلما كانت دائرة العلاقات الضعيفة ضيقة كلما كانت المنافع المتوقع قليلة جدا.

❖ يؤدي نوع شبكة التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في تحديد مدى قوة العلاقات الضعيفة ضمنه، ففي دولة اليابان مثلا أين يتم الاعتماد أساسا على موقع ميكسي Mixi وبعض المواقع الأخرى التي تختلف عن الفيسبوك وباقي المواقع في اعتمادها على نظام الهوية المجهولة للأعضاء حفاظا على الخصوصية، نجد أن فكرة العلاقات الضعيفة هنا تأخذ أبعادا مختلفة تماما عما ناقشناه، أيضا موقع ساي وورلد Cyworld في كوريا الجنوبية الذي يعتمد في سياسته على تعزيز العلاقات القائمة أكثر من فكرة بناء علاقات جديدة تماشيا مع منظومة ثقافية داخلية.

❖ تلعب الظروف الاقتصادية والسياسية دورا كبيرا في زيادة عدد العلاقات الضعيفة التي يبنها الفرد ضمن شبكات التواصل الاجتماعي، ففي ظل حالات اللااستقرار الأمني لوحظ زيادة لجوء الفرد إلى بناء علاقات جديدة ضعيفة، كذلك في حالة الأزمات الاقتصادية تزايد بشكل كبير عدد مشتركين موقع لينكد إن وزادت العلاقات الجديدة ضمنه.

❖ تعتبر فئة الشباب والمراهقين من أكثر الفئات التي تميل إلى بناء علاقات ضعيفة جديدة مقارنة ببعض الفئات الأخرى، خاصة في منطقة الشرق الأوسط وما تعيشه من مخاض في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

❖ وفق نظرية قوة العلاقات الضعيفة فإن بناء العلاقات القوية لن يتيح لنا فرص التعرف على أشخاص جدد لأننا سنقع في دائرة المعارف المشتركة غالبا،²¹ وبإسقاط هذا على التشبيك العالي الذي وصلت إليه شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية اليوم، نجد أن القاعدة تنطبق هنا حتى على العلاقات الضعيفة ضمن هذه الشبكات، حيث ستتضاءل فرص الفرد في التعرف على أشخاص جدد فعلا لأنه غالبا ما سيقع في دائرة الأشخاص أو الأصدقاء المشتركين وفق الخصائص الفنية والتقنية التي تعمل وفقها أغلب الشبكات الرقمية.

خاتمة:

مكننت مواقع الشبكات الاجتماعية المميّزة للمجتمعات الرقمية الحديثة من تأسيس قاعدة جديدة أكثر صلابة لمناقشة نظرية قوة الروابط الضعيفة، إذ سمحت هذه المواقع بزيادة إمكانية إنشاء الروابط الافتراضية بحكم خصائصها التقنية المختلفة في سعي منها إلى مضاعفة الفرص التي تتأتى من هذه الروابط ضمن شروط فعالية معينة. وقد بينت الورقة أن الحديث عن الرباط الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية يبقى قائما لكنه يكتسب شروط قيام جديدة تختلف عن تلك المؤسسة للرباط الاجتماعي التقليدي، وأن أغلب الروابط القائمة في مواقع الشبكات الاجتماعية هي روابط ضعيفة، ومع ذلك فإنها تقدم فرصا كبيرة لأطرافها. إذ تلعب دور الجسور التي تربط الدوائر العلائقية المغلقة والمنعزلة والمقسومة ذات الموارد المحدودة، وتساهم في اتصالها وانسجامها وتحقيق التبادل بين عناصرها لتشكل في النهاية الشبكة الأكبر المتمثلة في المجتمع، وعلى هذا

الأساس يمكن القول أن الروابط الضعيفة هي التي تمثل الإسمنت الاجتماعي وليس القوية. وقد يحدث وأن تتحول الروابط الضعيفة بحكم كثرة التبادلات وقيام قدر معين من العاطفة بين أطرافها أو بسبب بلوغ عمليات التشبيك للتقنية في حد ذاتها إلى مستويات عليا إلى روابط قوية في مستوى أول، يمكن أن تتدرج إلى الواقع الحقيقي في مستوى ثاني، فتؤدي الأدوار المنوطة بكل النوعين من العلاقات.

الهوامش

¹ - ورد هذا المفهوم في نظرية "قواعد الذعر الأخلاقي التكنولوجي" للباحثة الأسترالية مارغريت بال، وتفترض هذه النظرية أن كل مستحدث تكنولوجي يغير علاقة الأفراد بالزمان والمكان وبالأخرين، يؤدي بمجرد الشروع في استخدامه إلى إحداث الذعر، وهذا الذعر هو ظاهرة عامة تكتسح كل المجتمعات.

² - Nicolas Saucier, " les liens sociaux dans les communautés en ligne la redefinition d'un probleme", IN Aspects sociologiques, les impacts sociaux des nouvelles technologies, p.63.64.

³ - Ibid, p.62.

⁴ - ماثيو فريزر وسوميترا دوتا، "الشبكات الاجتماعية على الانترنت قوة الروابط الضعيفة"، جريدة العرب الاقتصادية، تمت المراجعة بتاريخ 15 نوفمبر 2017 على الرابط http://www.aleqt.com/2008/12/01/article_169885.html

⁵ - Régis Bigot et AL, "Veux- tu Etre Mon Ami?: l'évolution du lien social à l'heure numérique", dans Cahier de recherche, CREDOC, Décembre 2014, p11.

⁶ - Nicole Ellison et Annique Thierry, " Réseaux Sociaux Numériques et Capital Social", Entretien réalisé par Thomas Stinger et Alexandre Coutant, Hèrmes la Revue, 2011/1 N°59, p.22.

⁷ - Léa Rochford, "contrepoint- les liens sociaux à l'heure du numérique", informations sociales, 2016/2 N°193, p.94.

⁸ - Régis Bigot et AL, Op. Cit., p11.

⁹ - Guy Rocher, Le Changement Social; approche sociologique des sociétés occidentales contemporaines, Armand Collin, Paris, 2003, P.188.

¹⁰ - أوسيبوف، أصول علم الاجتماع، تر: سليم توما، دار التقدم، موسكو، 1988، ص.67.

¹¹ - Serge Proulx, "les communautés virtuelles construisent- elles du lien social?", communication, colloque international "l'organisation média. Dispositifs médiatiques, sémiotiques, et de médiation de l'organisation", Université Jean-Moulin, Lyon, 19-20 Noembre, 2004.

¹² - Voir: Serge Proulx et Annabelle Klein: Conexions: communication et lien social, Presse Universitaire de Namur, Belgique, 2012, p.07.

¹³ - Mark Granovetter, The Strenght of Week Ties: A network Theory Revisited, IN Sociological Theory, Volume 1, 1983, p.202.

¹⁴ - Mark Granovetter, the strength of week ties, in Current Content, N°49, Décembre 8th 1986, p.24.

¹⁵ - Nicolas Saucier, Op. Cit0, p.p.64-65.

¹⁶ - Ibid, p.p.65-66.

¹⁷ - Ibid, p.66.67.

¹⁸ - ماثيو فريزر، سوميترا دوتا، مرجع سابق.

¹⁹ - عبد الرحيم الزرعوني، قوة الروابط الضعيفة 1، 2017-02-20، متاح بتاريخ 2017-11-25 على الرابط: <http://www.kalimaty.net/?p=1334>

²⁰ - عبد الرحيم الزرعوني، قوة الروابط الضعيفة 2، 2017-02-26، منصة الرؤية، متاح بتاريخ 2017-11-25 على الرابط: <http://www.alroeya.ae/55572>

²¹ - جاكوب مورغن، أهمية الروابط السطحية في العمل، 28 أبريل 2014، متاح بتاريخ 2017-11-25 على الرابط: <https://www.forbesmiddleeast.com>